أورشليم السماوية

المنارة أيلول ٢٠٠٤

الأخت باسمة الخوري الأنطونية

مالئة الدنيا والآخرة، وشاغلة الناس في البداية وفي النهاية. هذا ما يمكننا أن نصف به أورشليم، وهذا هو الانطباع الذي تتركه فينا هذه المدينة من خلال الكتاب المقدس.

تبدأ قصة أورشليم باختيار إلهي (١ مل ٨: ١٦)، مما جعل وجودها مرتبطاً بعلاقة سكانها بالله الذي اختارها[١]، و"أسسها" (أش ٤٨: ٢)، وسكن "في وسطها" (صف ٣: ١٧). هي صورة لمبادرات الله المتواصلة نحو الانسان من جهة، وصورة لجواب الانسان على هذه المبادرات من جهة ثانية. وجودها أساساً نعمة مجانية، ودمارها دلالة على عدم الامانة لله ونتيجة حتمية له، اما ولادتها الحقة كمدينة "مقدسة نازلة من السماء من عند الله" كما تصوّرها رؤيا القديس يوحنا، فهي أكبر رموز الخلاص الاسكاتولوجية.

فما هي اورشليم السماوية هذه ؟ وكيف نفهم نزولها من السماء؟ ومتى سيكون ذلك؟

أورشليم أولاً وآخراً

بداية القصة

لا تختلف قصة أورشليم، في بدايتها، عن قصة أي مدينة من مدن العالم القديم. فقد ولدت بالآلام، واستمرت عبر المحن والحروب والكوارث، وتاقت للسلام الدائم. لكن بينها وبين المدن الأخرى فرق عظيم، يكمن في المعنى الروحي الذي أخذته هويتها، منذ وجودها وعبر تاريخها، وصولاً الى مصيرها الأبدي في الآخرة.

ظهرت أورشليم، التي نعرفها اليوم، الى العلن بعد استيلاء داود عليها يوم كانت مدينة كنعانية قديمة (٢ صم ٥: ٦-١٢)، ونقل اليها تابوت العهد رمز حضور الله لشعبه (٢ صم ٦-٧)، قبل أن يبني فيها سليمان ابنه المعبد (١مل٦)، مما أدخلها في قائمة أماكن الحج اليهودية القديمة.

[١] راجع ١ مل ٨: ٤٤، ٤٨؛ زك ١: ١٧.

وبرزت أهمية أورشليم الروحية منذ وجودها كعاصمة لمملكة داود، الذي جعل منها مركزاً دينياً يجمع كل المؤمنين بالله الواحد، فأصاب بذلك أهدافه الروحية والسياسية والاقتصادية في آن معاً، فأضحت أورشليم بالتالي رمزاً لوحدة الشعب والمملكة والدين. ويوم نجت من الدمار أثناء حرب سنحاريب ضد حزقيا سنة ٧٠١ (٢ مل ١٨: ١٣)، في حين خضعت كامل الممكلة الاسرائيلية للأشوريين سنة ٧٢٢، رأى المؤمنون بهذا الخلاص نعمة ، وعناية الهية خاصة ، وآمنوا بأن مستقبل هذه المدينة سيكون مجيداً لأن حضور فيها الله سيكون ابدياً "من جيل الى جيل" (يوء ٤: ١٦-٢١). لقد تأكد الشعب بأن الله هو من يحمي أورشليم (اش ٣١: ٤-٥) فتنعم بالسعادة والازدهار.

لكن عظمة أورشليم لم تمنع مأساتها. فالله الذي اختار مدينته لم يفرض على أبنائها الأمانة رغماً عنهم، بل انتظر منهم الايمان والمحبة جواباً على محبته واختياره لهم، قما لقي سوى الخيانة. هكذا أعلن العديد من الأنبياء بأقوالهم (٢ مل ٢٣: ٢٧)، وبالرموز (حز ٤-٥) والرؤى (حز ٨-١١)، بأن الله نبذ المدينة التي اختارها، لأن أبناءها لم يكونوا أهلاً لهذا الاختيار المجاني.

بالحقيقة بدأت حياة عدم الأمانة لله منذ الخروج من مصر. فبدلاً من أن تكون الأزمات الكبرى مناسبة للثقة الكاملة بالله والاتكال التام عليه، ما كان من المؤمنين إلا أن لاموا الله وتمرّدوا عليه. سقط الشعب وملوكه في تجربة الآلهة الغريبة فعبدوا الأوثان، وعمَ الظلم الاجتماعي نتيجة طبيعية للبعد عن شريعة الله، فكذبوا وقتلوا وسرقوا، وزنوا ومارسوا العنف ... (هو ٤: ٢ ؛ أش ٥٨: ١)، مما أدى الى هدم المملكتين الشمالية والجنوبية، إضافة الى دمار أورشليم وهيكلها سنة ٥٨٧. لقد نبذ الله أورشليم وهيكلها، بعد أن فعل لكرمته كل الممكن فلم تثمر (أش ٥: ١-٧).

لكن الأنبياء فهموا بأنه لا يمكن لله الرحيم محب للبشر أن يترك شعبه الى الأبد، فأعلنوا بأنه ما على المؤمنين سوى انتظار افتقاده، وزمن بناء المملكة المسيحانية الجديدة رمز الخلاص النهائي. هكذا تحوّلت أورشليم، التي أعيد بناؤها فيما بعد، الى رمز من أكبر رموز الخلاص الاسكاتولوجي، وصوّرها المؤمنون مدينة مثالية نورها الله (أش ٦٠: ١٩-٢٠)، وهو من يعطيها "اسماً جديداً" ويتزوجها (أش ٥٤: ١-٨؛ ٦٢: ٢-٥)، فتكون جنّة مهيّأة لمجيء "سماوات جديدة وأرضاً جديدة" (أش ٦٥: ١٧-٢٥؛ ٦٦: ٢٠-٢٣)، وتتكرّس مكان عبادة (حز ٤٠-٤٨)، محوراً لكل الأمم (زك ١٤: ١٦-١٧)، يأتون اليها ليسجدوا للرب ويتعلموا العلم الإلهي الذي ينهي كل الحروب (أش ٢: ٢-٥؛ مي ٤: ١-٤). وتحوّلت هذه الصورة الى الموضوع الأساسي للرجاء المسيحاني اليهودي. آمن الشعب بأن الله سيبني أورشليم من جديد، فتتحقق مملكة السلام الأبدي حيث لا دموع ولا ألم، وحيث يسكن الله وسط شعبه الى الأبد.

لكن اليهودية لم تكن تعرف زمان ومكان هذه المملكة المسيحانية، فكان أن آمن البعض بأن لا أورشليم جديدة إلا حيث كانت القديمة، التي اختارها الله مسكناً أبدياً له؛ في حين جعلت بعض النصوص من أورشليم مدينة مثالية هدفاً للعالم وقلباً له (مز ٨؛ ٨٧؛ ١٢٢)، وبالتالي أبعد من أن تكون مجرّد مكان جغرافي.

أورشليم العهد الجديد

أعطى يسوع لأورشليم الأهمية التي كان شعبه يحفظها لها. فحذّر من الحلف بها لأنها "مدينة الملك العظيم" (مت ٥: ٣٥)، وصعد اليها ليتمم رسالته (لو ٩: ٣١، ٥١؛ ١٣: ٣٣)، لكنه لمس، كما فعل الأنبياء، بأن المدينة "لم تعرف وقت افتقاد" الله لها، فبكاها لأن عماها سيكون سبباً لدمارها (لو ١٩: ٤١-٤٤).

أخذت أورشليم دوراً محورياً في لاهوت القديس لوقا، الذي جعل كل شيء يؤول اليها، بحيث يبدأ منها الإنجيل (لو١: ٥-٢٥) وفيها ينتهي (٢٤: ٥٢-٥٣)، ليعود فينطلق من جديد بعد حلول الروح القدس ويعمّ الأرض(أع ٨-٢٨). ومع أن رسالة بولس لم تنطلق من أورشليم (غل ١: ١٧)، فقد اعتبر رسول الأمم أن الشراكة مع كنيسة أورشليم ضرورية (٢: ١-٢).، وأعلن أن "اورشليم العليا" هي أم المسيحيين (٤: ٢٦).

لقد تحوّلت اورشليم في كتاب العهد الجديد، الى رمز الاكتمال الاسكاتولوجي في بُعده الحاضر، كما في الرسالة الى العبرانيين (عب ١٢: ٢٢)، أو المستقبلي كما نجد في كتاب رؤيا القديس يوحنا (رؤ ٢١: ٢-٣، ٩-١١).

أورشليم في الرسالة الى العبرانيين

تتكلم الرسالة عن موطن سماوي، على شكل مدينة ليس مجرّد مكان للعبادة، بل مكاناً يجتمع فيه الناس في المجد. كانت هذه المدينة تشكّل هدف الآباء الأقدمين في حجّهم وبحثهم بالإيمان عن موطن نهائي، فيؤكّد الكاتب أنه "بالإيمان مات هؤلاء كلهم دون أن ينالوا ما وعد الله به، ولكنهم رأوه وحيّوه عن بُعد. واعترفوا بأنهم غرباء نزلاء في الأرض، والذين يقولون هذا القول يبرهنون أنهم يطلبون وطناً. ولو كانوا ذكروا الوطن الذي خرجوا منه، لكان لهم فرصة للعودة اليه. لكنهم كانوا يشتاقون الى وطن أفضل منه، أي الى الوطن السماوي؛ لذلك لا يستحي الله أن يكون إلههم، فهو الذي "أعدّ لهم مدينة" (عب ١١: ١٣-١٦).

يبدو جليّاً أن أورشليم هي المقصودة من خلال هذا الكلام عن "المدينة"، وأن الكاتب يعلن بطلان الرجاء بمدينة أرضية تكون عربوناً أبدياً للخلاص وتتميم الوعود، ويؤكد رمزيتها وهويتها الروحية. فإن كانت أهمية المدينة تكمن في وجود الهيكل في وسطها، علامة على حضور الله الدائم في داخلها، فإن أهمية هذا الهيكل قد بطُلت أيضاً.

كتبت هذه الرسالة دون أي شك بعد هدم هيكل أورشليم سنة ٧٠. وقد فهم كاتبها التغيير الكبير الذي طرأ مع المسيح على الهيكل وعلى الطقوس. يصف الماضي ب"الخيمة الأولى" ويؤكد بأن "خيمة ثانية" قد حلَت مكانها وهي من طبيعة روحية يمارس فيها المؤمنون عبادة أكمل: "جاء المسيح رئيس كهنة للخيرات المستقبلية واجتاز خيمة أعظم من تلك الخيمة الأولى، غير مصنوعة بأيدي البشر، أي أنها لا تنتمي الى هذه الخليقة، فدخل قدس الأقداس مرة واحدة، لا بدم التيوس والعجول بل بدمه، فكسب لنا الخلاص الأبدي" (عب ٩: ١١-١٢)، وسمح على عكس الهيكل القديم، بدخول قدس الأقداس الذي كان محرَماً إلا للكاهن الأكبر (عب ١٠: ١٩-٢٢).

أورشليم السماوية في كتاب الرؤيا

جعلت الرسالة الى العبرانيين من موت يسوع وقيامته نقطة انتهاء العالم القديم والمدينة القديمة، وبداية تحقيق الوطن السماوي، منذ الآن، حول خيمة روحية أخذت مكان الخيمة الأولى أي هيكل أورشليم. أما يوحنا فقد اختار أن يعطي للخلاص الاسكاتولوجي، بعداً مستقبلياً في أرض جديدة وسماوات جديدة. فالدينونة النهائية تترافق عنده مع ظهور الله بشخص يسوع "ابن الانسان" الممجد، ليشفي الخلق الأول ويجدده: "هربت من أمام وجهه الأرض والسماء وما بقي لهما من أثر" (٢٠: ١١). زالت الأشياء القديمة، وإذا بالجالس على العرش يعلن "ها أنا أجعل كل شيء جديداً" (٢١: ٤-٥)، فيبدأ نظام جديد: تظهر سماء جديدة وأرض جديدة، و تنزل اليها من السماء "أورشليم الجديدة ... مسكن الله والناس... مقرّ مجده". على هذاه الخلفية، تقدّم لنا الرؤيا خلقاً جديداً روحانياً بدل الخلق المادي الأول، تخترقه صورة أورشليم "المدينة النازلة من السماء":

> رؤ ٢١: "[1] *ورأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة، لأن السماء والأرض الأولى قد زالتا، وللبحر لم يبقَ وجود".*
>
> [2]*ورأيت المدينة المقدسة، **أورشليم الجديدة**، نازلة من السماء من عند الله، مهيّأة مثل عروس مزيّنة لعريسها.* [3]*وسمعت صوتاً جهيراً من العرش يقول: "هوذا **مسكن الله مع الناس**، فيسكن معهم وهم سيكونون **شعوبه** وهو سيكون "الله*

معهمْ . ٤سيمسح كل دمعة من عيونهم.وللموت لن يبقى وجود بعد الآن، ولا للحزن ولا للصراخ ولا للألم لن يبقى وجود بعد الآن، لأن العالم القديم قد زال" . ٥وقال الجالس على العرش :"هاءنذا أجعل كل شيء جديداً"... ٩وجاء أحد الملائكة السبعة أصحاب الأكواب السبعة الممتلئة بالنكبات السبع الأخيرة فخاطبني قال: "تعال أريك ***العروس امرأة الحمل*** *" .*

١٠فحملني بالروح الى جبل عظيم عالٍ، وأراني المدينة المقدسة أورشليم نازلة من عند الله، ١١وعليها مجد الله. ولألاؤها أشبه بألاء أكرم الحجارة، وكأنها حجر يشب بلّوري ١٢ولها سور عظيم عالٍ ولها اثنا عشر باباً، وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكاً، وفيها أسماء مكتوبة ... ١٥وكان مع الذي يخاطبني مقياس هو قصبة من ذهب ليقيس المدينة وأبوابها وسورها ... ***٢٢ولم أرَ فيها هيكلاً****، لأن الرب الإله القدير هو هيكلها، وكذلك الحمل.* ٢٣*والمدينة لا تحتاج الى الشمس ولا الى القمر ليضيئا لها، لأن مجد الله أضاءها، وسراجها هو الحمل.* ٢٤*ستمشي الأمم في نورها، وملوك الأرض سيحملون اليها مجدهم.* ٢٥*أبوابها لن تقفل في أيامها، لأنه لن يكون ليل هناك.* ٢٦*وسيحملون اليها مجد الأمم وشرفها.* ٢٧*ولن يدخلها شيء نجس ولا فاعل قبيحة ولا كذب، بل الذين كتبوا في سفر الحياة، سفر الحمل.*

٢٢: ١وأراني الملاك ***نهر ماء الحياة*** *برّاقاً كالبلور، ينبثق من عرش الله والحمل.* ٢*وفي وسط الساحة وبين شعبتي النهر* ***شجرة حياة*** *تثمر اثنتي عشرة مرة، في كل شهر تعطي ثمرها، وورق الشجرة لشفاء الأمم.* ٣*ولن يكون لعن بعد الآن، وعرش الله والحمل سيكون في المدينة،* ***وسيعبده عباده ويشاهدون وجهه،*** *ويكون اسمه على جباههم. ولن يكون ليل بعد الآن، فلن يحتاجوا الى نور سراج ولا ضياء الشمس، لأن* ***الرب الإله سيضيء لهم،*** *وسيملكون أبد الدهور.*

يرد وصف أورشليم السماوية هذه في الفصول الأخيرة من كتاب رؤيا القديس يوحنا ٢٠-٢٢، المخصصة لكشف (apocalypsis) النهائيات (eschata)[٢].

[٢] يُقفل كتاب الرؤيا قانون العهد الجديد، وهي الرؤيا الوحيدة في هذا الكتاب، إضافة الى بعض المقاطع التي يمكن وصفها بالرؤيوية كما في متى ٢٤؛ مرقس ١٣ و لوقا ٢١: ٥- ٣٣.

يرتبط ذكر أورشليم السماوية في كتاب الرؤيا، بمملكة لمدة ألف سنة لا نجد لها ذكراً خارج هذا الكتاب[٣]. يصف الكاتب حرباً طاحنة بين المسيح وأتباعه من جهه، وبين الشيطان وأتباعه من جهة ثانية، تجرّ معها ويلات كثيرة وكوارث قاتلة، لكنها تؤدي الى انتصار نهائي للمسيح يعلنه الرائي، فيُبشّر بمُلك الألف سنة، وبمدينة أورشليم السماوية. وفي حين يتجذّر ملك الألف سنة في التاريخ كمرحلة نحو تمام الدينونة ألأخيرة[٤]، ترى أورشليم السماوية النور في كون متجدد ومغاير لما نعرفه. أنها مدينة لا وجود لها إلا خارج التاريخ، تشكّل نقطة وصول التاريخ الى ما بعد التاريخ، وكأنها الجنة التي أضاعها الانسان، فإذا بالله يعيدها من جديد صورة لتمام الخلاص.

أورشليم السماوية صورة الخلق الجديد

في قراءتنا لصورة أورشليم كما يقدمها كتاب الرؤيا، تلفتنا الأهمية التي يأخذها الهيكل، إن لجهة وجوده أو لجهة عدم وجوده. فاسم أورشليم السماوية "مسكن الله مع الناس" (٢١: ٣)، مما يدلّ بوضوح الى مبرر وجودها، والى الدور الذي تأخذه في هذه الأرض الجديدة والسماء الجديدة؛ ولا نجد في هذه المدينة هيكلاً "لأن الرب القدير هو هيكلها وكذلك الحمل" (٢١: ٢٢)؛ ولا سراج فيها لأن "مجد الله أضاءها وسراجها هو الحمل" (٢١: ٢٣).

أورشليم السماوية هذه، هي أورشليم كما كان يجب أن تكون منذ البدء. لكن أورشليم الأرضية لم تعرف كيف تحيا هويتها الإلهية، فكان لا بد من دمارها واختفاء الخليقة القديمة، ليُفسح في المجال أمام ولادة خليقة جديدة تكون مسكناً أبدياً لله.

حضور الله وعبادته مبرر وجود اورشليم

أخذت الطقوس والعبادات مكاناً هاماً في العهد القديم، لأنها الأوقات المخصصة لعلاقة المؤمنين الشخصية والجماعية، مع الله الذي اختارهم ودعاهم ليحيوا عهده. كرّس اليهود لهذه العبادات أوقاتاً وأمكنة معيَنة، فأخذ السبت والسنة اليوبيلية والسنة السبتية، طابعاً مقدَساً، كما أخذت بعض

---

[٣] يعد المسيح قدّيسيه بمُلك لألف سنة (٢٠: ١-٦). ومن الواضح أن هذه المدة هي مرادف لمدة طويلة غير محددة تمتد بين معركتين. في الأولى يقضي كلمة الله تتبعه عساكر السماء على "ملوك الأرض وعساكرهم" بعد أن يقيّد الشيطان، وفي الثانية يقضي على الشرير وأتباعه فيدوم عذابهم "نهاراً وليلاً الى أبد الدهور" (٢٠: ١٠).

[٤] اعتمدت الكنيسة تفسير القديس اغسطينوس (٣٥٤-٤٣٠)، الذي اعتبر هذا الزمن الألفي زمن الكنيسة الممتد بين مجيء المسيح الأول بجسد التواضع، وبين مجيئه الثاني بالمجد للدينونة.

الأمكنة مثل أورشليم وبيت إيل وممرا وبئر سبع، هذا الطابع المقدَس. أما المكان الأكثر قداسة بين هذه المعابد، فكان هيكل أورشليم، الذي لعب دوراً محورياً في الديانة اليهودية.

بعد إصلاح يوشيَا (٦٤٠-٦٠٩)، فرضت الشريعة معبداً موحَداً لكل الشعب في البلاد (تث ١٢: ٢-٧)، فأصبح معبد أورشليم "المكان الَذي اختاره الله لسكنى اسمه". وأكد اللاهوت الكهنوتي بأن "مجد" الله قد حلَ فيه، وبالتالي بأن الله فجعل من قدس الأقداس مركزاً لحضور رحمته ونعمه. هذا ما يفسَر اعتبار هدم الهيكل كارثة وطنية بالغة الخطورة، وهذا ما أدى الى إيمان العائدين من المنفى بأن إعادة بناء الهيكل في أورشليم (حج ١-٢)، وإقامة الطقوس اللائقة فيه (ملا ١-٣) والحج اليه (مز ١٢٢) هو البرهان الأكيد على عبادة الله ومحبته.

ولم تقتصر أهمية هيكل أورشليم على الصعيد العملي فقط، بل تعدّته الى الصعيد الرمزي. فالهيكل ليس مكان الطقوس، والصلوات، والذبائح، والتعليم، والشفاءات، والتنصيب الملوكي وحسب، ولكنه في الوقت عينه، البناء الذي يدلَ على سرَ السكنى الإلهي في السماوات (١ مل ٨: ٣٠). ففي حضور الله الحي والمميَز فيه، تحوَل الهيكل الى مركز الحياة، والمعرفة الإلهية، واعتبره المؤمنون محور العالم بأسره.

لكن هذا الهيكل لم يستطع أن يضمن الحضور الإلهي، ويحصره تلقائياً بين أسواره. فقد قام الأنبياء دائماً، ضدَ من وضعوا ثقتهم بالطقوس والعبادات الفارغة من كل روح (إر ٧: ١-١٥)، وأعلن حزقيال أن "مجد الرب" قد أخلى المكان المقدَس (حز ١٠: ٣-٢٢؛ ١١: ٢٢-٢٤). لكن هذا المجد سيعود الى الهيكل المثالي (٤٠-٤٢)، نبعاً للخلاص والشفاء والخلاص (٤٧: ١-١٢).

جدوى وجود الهيكل وعدمه، عند الجماعة المسيحية ا لأولى

على عكس العهد القديم، لا يتضمَن العهد الجديد تشريعاً مفصَلاً يتعلَق بالعبادات والطقوس. وفي حين يأتي، وبشكل مختصر، على ذكر أهمية العماد والإفخارستية[٥]، فإنه يركَز بشكل كبير على الصلاة وأهميتها[٦]. بدأ يأخذ اليوم الأول من الأسبوع مكان يوم السبت، وإن حافظ المسيحيون الأوائل

[٥] راجع مت ٢٨: ١٩؛ مر ١٦: ١٦؛ لو ٢٢: ١٩؛ يو ٦: ٥٣-٥٦؛ ١ كور ١١: ٢٤-٢٥.

[٦] غالباً ما تقدَم لنا الأناجيل يسوع مصلَياً (مر ١: ٣٢، ٣٥؛ لو ٦: ١٢)، في العزلة (لو ٥: ١٦) أو على الجبل (مت ١٤: ٢٣). يؤكَد لوقا بأن يسوع كان يصلَي قبل كل عمل مهم في رسالته: عماده (لو ٣: ٢١)، إختيار الإثني عشر (٦: ١)، سؤالهم عن هويته (٩: ١٨)، تجلَيه (٩: ٢٨)، آلامه (٢٢: ٤١-٤٥). لكن الأناجيل لا تعطينا مضمون صلاته بل تشير الى علاقة يسوع الحميمة بالآب (مر ١٤:٣٦).

على طقوس الهيكل (أع ٣: ١)، فإن ذبيحة المسيح بدأت تأخذ مكان الذبائح القديمة (عب ٩: ١٣، ١٨-٢٣)، ورفض المؤمنون كل قيمة تكفيرية للذبائح الحيوانية، مما انعكس سلباً على دور الهيكل.

أثناء حياة يسوع والرسول بولس، كان الهيكل ما زال قائماً، وكانت قيمته المادية والليتورجية كبيرة جداً. حجَ اليه يسوع، وفيه علَم[٧]؛ وفي عمل نبوي، طرد الباعة منه (مت ٢١: ١٢-١٣)، مما يؤكد أن الهيكل كان لا يزال يحمل بالنسبة الى يسوع معناه الرمزي كمسكن إلهي، يمثَل، على الأرض، مسكن الله في السماء. سمَى يسوع الهيكل "بيت الله" (مت ٢١: ١٣؛ راجع أش ٥٦: ٧)، و"بيت أبي" (يو ٢: ١٦)، وإن أعلن هدمه، كما فعل إرميا (مت ٢٤: ٢)، فإنه أعلن من جهة ثانية، أن هيكلاً جديداً سيحل مكانه (يو ٢: ١٩). هدم الرومان الهيكل لكن وُلد مكانه معبد روحي من نوع جديد هو مدينة يملك فيها الحمل. هذا هو الجديد الفصحي: لقد حقق الرب بموته وقيامته خلقاً جديداً حلّ مكان الخلق القديم.

فهم الرسل بعد القيامة، أن الهيكل الجديد هو جسد يسوع المسيح القائم من الموت (يو ٢: ٢٢)، فأعلن بولس للمؤمنين بأنهم أعضاء هذا الجسد (١ كور ١٢: ٢٧) و"هيكل الله" (٣: ١٦-١٧) أو "هيكل الروح" (٦: ١٩)؛ في حين أكّد بطرس، في رسالته الأولى، بأن المؤمنين الذين يتَحدون بالمسيح "الحجر الحيَ"، هم "بيت روحي" (١ بط ٢: ٤-٦).

كي نتمكن من فهم نظرة يوحنا، من عدم جدوى وجود الهيكل في أورشليم المدينة المقدسة "النازلة من السماء" (٢١: ١٠)، لا بد لنا من الدخول في إطار العلاقات المتأزّمة، التي سادت بين اليهودية والمسيحية في القرن الأول. كان الهيكل بالنسبة لليهود، المكان الوحيد للعبادة، في حين خالف يسوع ورسله فيما بعد هذه النظرة، إنطلاقاً من قناعته بأن العبادة الروحية لا ترتبط بمكان معيّن. ونجد عمق هذه الإشكالية في الإنجيل الرابع من خلال الحوار مع السامرية (يو ٤: ١٩)، كما نجدها في العهد القديم، عند العديد من الأنبياء الذين انتقدوا الطقوس المتحجّرة بقسوة كبيرة (أش ٥٨؛ ٦٦؛ إر ٧).

وقد شغل أمر الحفاظ أو عدم الحفاظ على العادات والطقوس اليهودية الجماعة المسيحية الأولى، ولنا في كتاب أعمال الرسل وفي رسائل القديس بولس خير برهان على ذلك. في هذا السياق تأخذ الرؤيا موقفاً واضحاً لجهة رفض هذه الطقوس بشكل جازم. لم يعد للهيكل من ضرورة في أورشليم السماوية، فبما أن "الله معهم" والحمل أيضاً (٢١: ٢٢)، تحوّلت المدينة بأكملها الى هيكل، وأصبحت

[٧] راجع يو ٧: ١٤، ٢٨؛ مر ١٢: ٣٥؛ لو ١٩: ٤٧؛ ٢٠: ١؛ ٢١: ٣٧؛ مت ٢٦: ٥٥.

شعوب الله "ملوكاً وكهنة" (١: ٦) بحسب الوعد لموسى (خر ١٩: ٦)، فيكون الله معهم، يعبدونه "بالروح والحق" (يو ٤: ٢٣) وليس في هيكل أرضي وأزمة معيّنة.

هكذا فهم يوحنا اختفاء بناء الهيكل من المدينة السماوية، مع حيطانه الضخمة، وغرفه المظلمة، وأروقته التي طالما دنّستها التجارة قبل الاحتلالات الغريبة. لقد أصبح جسد المسيح الممجد هو مسكن الله مع البشر. أخذت المدينة المنوّرة، وهي جماعة حيّة، مكان الهيكل، لأنها جماعة من انتقلوا من الظلمة الى الإيمان وقد أنارهم الرب.

أورشليم السماوية تمام الوعود

بعد اختفاء السماوات الأولى والأرض الأولى بحكم هشاشتها، وبعد ظهور السماوات الجديدة والأرض الجديدة نتيجة الخلق الجديد، انكشفت في قلب هذا العالم المتجدد أورشليم المقدسة، المدينة الجديدة التي تحفظ في وسطها الله، وقد قرّر أن يسكن مع مختاريه. تحققت نبوءة العمانوئيل، الملك المسيحاني "الله معنا" (رؤ ٢١: ٣)، وتمّت نبوءات حزقيال ٤٠-٤٨ وزكريا ٢ ليس ببناء هيكل أورشليم المادي، بل بتتميم الخلاص الجديد، الذي يكمن في سكنى الله مع البشر، مما يُبطل مبرر وجود أي هيكل مادي.

يقدّم كاتب الرؤيا، بطريقة رمزية، ثمار موت المسيح وقيامته في العالم وأولها الفداء. فبموته صحّح يسوع العلاقة بين الله والانسان، بحيث عاد بإمكان البشر دخول الحياة الإلهية، الحياة الأبدية. وقد فهم يوحنا هذا الفداء في الخط النبوي اليهودي، فرأى في شخص يسوع وعمله تحقيقاً لوعود العهد القديم. فمنذ السبي الى بابل، بقي موضوع العودة وإعادة بناء اسرائيل، من خلال بناء أورشليم والهيكل، أساسياً في بشرى الأنبياء والانتظار المسيحاني. وإنطلاقاً من هذه النقطة، رأى كاتب الرؤيا في هذا التجديد قمة عمل المسيح يسوع، ولكن لم تعد أورشليم التي يتكلم عنها تعبيراً عن حقيقة وطنية وعرقية، بل عن الانسانية جمعاء. لقد وصلت اورشليم القديمة الى ملئها وقمّتها.

يصف الكاتب هذه المدينة الجديدة بعد أن يضعها على المستوى الروحي، وينطلق في عمله هذا من النبوءات القديمة وخاصة نبوءة حزقيال (٤٠-٤٨)، وإعلانات زكريا (زك ٢)، فيعلن تتميم مشروع الله الخلاصي للإنسانية بكاملها. يستوحي بداية نصه من أش ٦٥: ١٧ و ٦٦: ٢٢ ومن (اش ٤٣: ١٩) الذي يذكر السماء الجديدة والأرض الجديدة : "ها اني أصنع كل شيء جديداً" ، ليؤكد بأن كل قديم انتهى، وبدأ بالمسيح يسوع عهد جديد.

أورشليم السماوية والكتابات

عرف اليهود العديد من الكتابات حول أورشليم السماوية منذ نبوءة حزقيال ٤٠-٤٨، وقد احتوت مكتبة قمران على بعض النصوص المخصّصة لها. ولكن الموضوع يأخذ اهمية كبرى في كتابات الرؤى التي ولدت بعد سنة ٧٠، في محاولة لتعزية القرّاء بعد هدم أورشليم (باروخ السرياني وعزرا الرابع). هكذا نقرأ مثلاً في باروخ IV, 3-5 :

"ليس هذا البناء المشاد الآن بينكم من سينجلي بقربي، بل ذاك المعدّ هنا مسبقاً، منذ الوقت الذي قرّرت فيه أن أوجد الجنّة. لقد أريته لآدم قبل خطيئته. ويوم خرق الوصيّة نُزع منه مع الجنة. بعد ذلك أريته لعبدي إبراهيم..." .

في رؤيا ١١: ١-٢ يتحمّل الرائي مسؤولية قياس الأماكن المقدسة: الهيكل والمذبح وقد أصبحا حقيقية سماوية، باستثناء الباحة الخارجية التي أضحت مكاناً ملعوناً. ثم يظهر في الفصل ٢١ ملاك ليقيس، بقصبة من ذهب المدينة بكاملها. يمكننا ببساطة أن نرى وراء هذه الصورة صورة هيكل حزقيال ٤٠: ٣:

حز ٤٠: ١-٥ *"في اليوم العاشر من السنة الجديدة، وهي السنة الخامسة والعشرون من ذهابنا الى السبي والسنة الرابعة عشرة بعد خراب مدينة أورشليم، حلّت عليّ يد الرب فأخذني الى هناك وفي رؤيا من رؤى الله جاء بي الى أرض إسرائيل ووضعني على جبل شامخ جداً، عليه من جهة الجنوب أبنية تشبه المدينة. فإذا برجل واقف بالباب منظره كمنظر النحاس وبيده خيط كتّان وقصبة قياس، فقال لي الرجل: "يا ابن البشر أنظر بعينيك واسمع بأذنيك وانتبه الى كل ما أريك إيّاه، فأنا جئت بك الى هنا لتخبر شعب إسرائيل بكل ما ترى" . فإذا بسور يحيط بالهيكل، وفي يد الرجل قصبة القياس وطولها ست أذرع، وكل ذراع ذراع وشبر، فقاس السور فكان ارتفاعه قصبة واحدة" .*

المقاييس بشرية ولكنها في الوقت عينه تفوق البشر (آ ١٧). والمدينة مكعّبة كما قدس الأقداس، أي أنها كاملة وثابتة، ومجد الله هو نورها الأوحد.

وفي رؤيا ابواب المدينة عودة الى أبواب مخارج مدينة رؤيا حزقيال وتتميم لها:

حز ٤٨: ٣٠–٣٥ *"وهذه هي قياسات مخارج المدينة: الى الشمال أربعة آلاف وخمس مئة ذراع. وأبواب المدينة بحسب أسماء أسباط اسرائيل ثلاثة أبواب نحو الشمال: باب رأوبين وباب يهوذا وباب لاوي. والى الشرق قياسها أربعة آلاف وخمس مئة ذراع، والأبواب ثلاثة: باب يوسف وباب بنيامين وباب دان. والى الجنوب قياسها أربعة آلاف ومئة ذراع، والأبواب ثلاثة: باب شمعون وباب يسّاكر وباب زبولون.والى الغرب قياسها أربعة آلاف ومئة ذراع، والأبواب ثلاثة: باب جاد وباب أشير وباب نفتالي. فالمحيط ثمانية عشر ألف ذراع.واسم المدينة من ذلك اليوم:* ***الرب هناك.***

والحجارة الكريمة التي بنيت منها المدينة، فيذكرها أشعيا ٥٤: ١١– ١٢، في محاولة لإظهار، بشكل مادي، مجد الله الذي يظلل مدينة القديسين:

أش ٥٤: ١١–١٢ *"وقال : يا أورشليم، ايتها العانية المنضّية التي لا عزاء لها، سأبني أسوارك بحجارة كريمة وأؤسسك باللازورد، وأجعل شرفاتك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمان وجميع حدودك حجارة ثمينة..."*

أما رؤيا سكان المدينة السماوية هذه فتعود الى أش ٦٠، وترتكز على صورة تدفّق الجموع الى أورشليم أثناء أعياد الحج. الرؤيا صورة للأبدية السماوية، حيث تدوم الاحتفالات وتطوافات الأمم وملوك الأرض لأن كل حياة المدينة هذه تتحول ليتورجية دائمة وتسبيح مستمر.

و في صورة النهر الذي يجتاز هذه المدينة، عودة الى أنهار الجنة الأرضية (تك ٢: ٩؛ راجع مز ٤٦: ٤) من جهة، والى نهر الهيكل الجديد الوارد في رؤيا حزقيال (حز ٤٧: ١–١٢) من جهة ثانية. في رؤيا حزقيال هذه، يخرج نهر من جنوب (يمين) الهيكل، ويسير نحو الشرق (الباب الشرقي المقفل) أي نحو الصحراء، ليصب في البحر الميت. يستطيع هذا النهر، من خلال عرضه (١٦٠٠ متر)، ومنسوبه،

من تجديد مياه بحر الملح بحيث تتحوّل الى مياه عذبة، فيمكن بالتالي للأراضي أن تزهر، وللبرية أن تحيا من جديد.

> ***حز ٤٧: ١، ٥-٧، ١٢*** *"ور جع بي الرجل الى المدخل الشرقي فرأيت تحت العتبة مياهاً تجري على جانب الهيكل الأمامي صوب الجنوب وعبر المذبح الى الشرق. ...ثم قاس ألف ذراع، فإذا* ***بنهر*** *تعذّر عليّ الاجتياز فيه لأن المياه صارت طاغية لا يمكن اجتيازها إلا سباحة. فقال لي: "أرأيت يا ابن البشر؟" وذهب بي وأرجعني الى شاطيء النهر. ولما رجعت إذا على شاطيء النهر* ***أشجار*** *كثيرة من هنا ومن هناك"... وعلى شاطئه من هنا ومن هناك ينبت كل شجر يؤكل، ولا يذبل ورقه ولا ينقطع ثمره، بل كل شهر يحمل بواكير لأن مياهه تخرج من الهيكل، فيكون ثمره للطعام وورقه للشفاء".*

يعود الإنجيل الرابع الى نبوءة حزقيال هذه أثناء عيد المظال، حيث يعلن يسوع في الهيكل "من كان عطشاناً ليأت ويشرب. من يؤمن بي، كما قالت الكتب، تخرج من أحشائه أنهار ماء حيّة" (يو ٧: ٣٧-٣٨). ويؤكّد الانجيلي بأن يسوع إنما تكلّم عن **الروح القدس**. لقد رأى يوحنا في النهر الخارج من أحشاء المسيح تحقيقاً لصورة النهر الخارج من الهيكل، والذي يتوسّع فيه يوئيل ٤: ١٨، فنفهم بالتالي بأن نبع المياه الحيّ هو الروح القدس الساكن في يسوع الناصري نبع الحياة لكل عطشان.

وعلى ضفاف هذا النهر الذي يجتاز صحراء يهوذا، كما يصفه حزقيال، تنبت **الأشجار**، فتخرج الحياة من عند أقدام الله في مسكنه، لتعمّ كل الأماكن القفرة الميتة، فتشفي وتحيي. لكن في الرؤيا لا وجود سوى لشجرة وحيدة، وهي خشبة "xyla" وليس شجرة "dendra" وفي ذلك إشارة أكيدة الى الصليب، وبالتالي الى **المسيح**. هكذا، يلتقي المسيح "خشبة الخلاص" مع الروح القدس "الماء الحي"، ليؤمّنا الحياة في مسكن الله، أورشليم الجديدة السماوية. في موضوع الشجرة هذا، عودة الى موضوع عزيز على اليهودية عامة، ويتعلّق بخصب الشجرة التي لا تعطي ثمرها بشكل دائم لسكان المدينة المقدسة وحسب، بل تؤمّن الدواء والشفاء لكل الأمم.

وتشير الرؤيا الى عرش الله. وفي ذلك عودة الى عيد المظال، حين كان الحجاج يصعدون الى أورشليم، ليعبدوا الله في الهيكل ويشاهدوا "وجه الله"، لكن أحداً، حتى عظيم الكهنة، لم يستطع أن

يحقق هذا الحلم. أما في أورشليم الجديدة، فرؤية الله حقيقة يومية. فيها تغيب كل لعنة (٢١: ٣)، ويتحقق وعد الله لأهل برغامس (٢: ١٧)، ولأهل فيلادلفيا (٣:١٢)، لأن اسم الله والحمل سيُطبع على جباه هؤلاء العباد كعلامة إنتماء لله ولخلاصه (٧: ٣). في أورشليم الجديدة، سيفقد مصباح الهيكل كل أهمية، ولو كان هو الشاهد على حضور الله، لأن نور مجد الله وحده القادر على محو كل الظلمة كما تنبأ أشعيا:

أش ٦٠: ١-٤ *"قومي استنيري فنورك جاء، ومجد الرب أشرق عليك. ها هو الظلام يغطّي الأرض، والسواد الكثيف يشمل الأمم. أما عليك فيشرق الرب وفوقك يتراءى مجده. فتسير الأمم في نورك والملوك في ضياء إشراقك. تطلّعي وانظري حولك! جميعهم قادمون اليك: بنوك يسيرون من بعيد وبناتك يُحملن في الأحضان..."*.

تظهر هذه المدينة الجديدة كعروس حاضرة لاستقبال أميرها الذي هو الرب ذاته. في خط هوشع، شبّه الأنبياء العهد الإلهي بالزواج بين الله وشعبه. وقد نقل يوحنا هذا التشبيه الى الحمل/ العريس، وأورشليم الجديدة/ الشعب المسيحي المؤمن. ومن صورة العرس ينبثق رمز "المرأة" الذي يأخذ دوراً أساسياً في تركيبة الرؤيا الرمزية، بحيث يظهر الرابط بين الله والبشرية كالرابط بين الرجل والمرأة، مع كل ما يعني ذلك من عناصر الأمانة أو الخيانة، الخطوبة، والعرس، والمائدة، والسكنى. وتظهر كل هذه الرموز في نهاية الكتاب حيث الاحتفال بتتميم العلاقة بين الله والبشر.

في كل الأحوال، لا يمكننا الدخول في معنى هذا التحوّل الذي يذكره النص، إلا من خلال إيمان المسيحيين الأوائل، الذين كانوا يشعرون بأنهم لم يعودوا من سكان هذه الأرض، بل من مواطني هيكل المدينة العلوية الروحي الذي دخله يسوع.

خاتمة

مرتوية من نهر الروح القدس، ومكتفية بشجرة الحياة التي في وسطها، ومستنيرة بالله وبالحمل ساكني قمّتها، تنكشف هذه المدينة كمسكن لله (٢١: ٣)، عروسه المتلألئة (٢١: ١١، ٢٣، ٢٤؛ ٢٢: ٥) أمام اندحار العتمة (٢١: ٢٥؛ ٢٢: ٥). وإن اختفى البحر (٢١: ٦)، فالينابيع تملأها (٢١: ٦)، والنهر يجتازها (٢٢: ١). في هذه المدينة الجديدة ساحة للتطوافات (٢١: ٢١؛ ٢٢: ٢)، أبوابها مفتوحة دائماً (٢١: ٢٥)، تمشي الأمم والملوك في نورها (٢١: ٢٤)... تحققت فيها كل

ليتورجية حقّة، فظهر الله لعباده ورآه كل قدّيسيه لأنه سكن بينهم. لم يعد فيها من مجال إلا لليتورجية الشكر، فالحصاد مؤمّن لأن شجرة الحياة حاضرة. ولم يعد من ضرورة للصعود الى صهيون لأن أورشليم الإلهية نزلت الى البشر. ولم يعد من ضرورة للإحتفال بجمال الهيكل رمز حضور الله، لأن الرمز اختفى ليترك المكان للحضور الحيّ. واختفت المظال رمز الخروج لأن الحج الحق تحقق، ... ولم يبقَ إذاً إلا العيد والفرح الدائم. تحوّلت المدينة الى مسكن الله، وتحققت الوعود. حصل المؤمنون على ملء النعم، فطوبى لساكنيها الى الأبد.

لقد استعاد الانسان حالته الأولى، حالة النعمة الأصلية، فلم يعد "هناك من موت ولا حزن ولا صراخ ولا وجع" (٢١: ٤). تمّت كل الوعود المعطاة للغالبين في الكنائس السبع فحصلوا على "شجرة الحياة" (٢: ٧؛ ٢٢: ٢)؛ وانتفاء "الموت الثاني" (٢: ١١؛ ٢٠: ٦، ١٤؛ ٢١: ١٨)؛ و"كتاب الحياة" (٣: ٥؛ ٢٠: ١٢)؛ و"اسم الله والحمل" المطبوع "على جباههم" (٣: ١٢؛ ٢٢: ٤). تجدد الانسان بتجدد علاقته بالله، وتحوّلت عبادته الى علاقة روحية بالرب. فكما أن لا هيكل في المدينة لأن هيكلها هو الرب (٢١: ٢٢)، فإن عناصر هذا الهيكل هم المؤمنون أعمدة "هيكل إلهي" (٣: ١٢)، مما يشير الى وحدة المؤمنين مع بعضهم ومع الله. أورشليم الجديدة السماوية هي مدينة شعب كهنوتي.

تكمن حقيقة أورشليم الجديدة في كونها "مسكن الله مع البشر". من هنا فإن البحث في كون هذه المدينة تدخل في التاريخ البشري، ليس سوى ضرب خيال. إن هدف القديس يوحنا في كتاباته، لاهوتي يتمحور حول مجيء المسيح، الذي يعتبره تحقيق مشروع الله وتمامه، في فكره اللاهوتي لا زمن محدّد سوى فصح الرب، ولا مكان ثابت إلا الكنيسة المؤمنة. كل ما يريد يوحنا إبرازه، هو التغيير الجذري الذي أحدثه يسوع في العلاقة بين الله والبشر. قبل يسوع لم يكن للانسان وصول للحياة الالهية الأبدية، أما معه فقد تمّت العلاقة وأصبح بإمكان الإنسان، في حياته ومماته، الاشتراك في حياة الله. لقد أصبح الله بالنسبة للبشر "عمانوئيل"، الذي نصب مسكنه بينهم وأصبحوا شعوبه" (٢١: ٣). هنا يكمن كل الجديد.

أنزل يسوع أورشليم الجديدة، منتظر الشعوب وموضوع النبوءات من السماء الى الأرض، فما علينا سوى قبولها!

Jérusalem la ville Céleste

Sr Bacima El-Khoury – religieuse antonine

Le présent article offre aux lecteurs quelques réflexions autour des deux notions formant son titres : Jérusalem, ville céleste.

Après un rappel de l'histoire de Jérusalem, de son importance primordiale dans l'histoire et la théologie biblique vétérotestamentaire, dans la conscience populaire du peuple juif, comme dans le NT ; on souligne le rapport entre Jérusalem et l'espérance biblique d'un Royaume messianique dans lequel Dieu réalisera son dessein salvifique, avant de voir comment l'Apocalypse de Jean a vu la réalisation de ce Royaume en l'image de Jérusalem céleste.

Le judaïsme ne savait pas s'il fallait placer ce Royaume messianique au ciel ou sur la terre, ainsi, nous trouverons dans la Bible, comme dans les textes juifs extrabibliques, toute sorte d'attente d'un Royaume réalisé dans la Jérusalem terrestre, ou dans une Jérusalem céleste. Les prophètes ont utilisé l'image d'un « ciel nouveau et d'une terre nouvelle » pour dépeindre le renouveau complet de toutes choses que le Messie apportera avec son règne » (cf. Is 13,11-13 ; 34-4 ; Je 4,23-26)

Le NT reprend ce thème, et considère que Jésus a réalisé le Royaume de Dieu, par sa vie et sa mort/résurrection. Mais, ce Royaume reste tendu entre le déjà là et le pas encore.

Les chapitres 21-21 dans lesquels convergent beaucoup de lignes d'espérance éparses dans l'Ancien Testament, présentent une description étonnante d'une Jérusalem céleste qui descend du ciel. Cette Jérusalem constitue le terme assigné à l'au-delà de l'histoire dans l'Apocalypse. C'est en quelque sorte le « Paradis recouvré » ou, « la rédemption achevée ». Or cette Ville céleste ne descendra sur terre qu'après une guerre féroce, et un millénium qui marque une étape vers cet accomplissement.

Dans sa spiritualisation du Royaume messianique, le rédacteur de l'Apocalypse présente une terre nouvelle, des cieux nouveaux, une nouvelle création spirituelle comme la première fut charnelle. La ville sainte, Jérusalem, est créée par Dieu, dans l'innocence première. A la suite d'Osée, les prophètes avaient comparé l'Alliance à un mariage entre Dieu et Israël. Le thème est ici transposé : l'Agneau est l'époux , et

Jérusalem se manifeste parée comme une fiancée pour son époux. Elle réalise le projet de Dieu.

Il est clair que les images prophétiques de l'Ancien Testament ont informé l'imagination du voyant de Patmos. Il en fait une projection spirituelle, charismatique. La ville, les pierres précieuses qui ont servi à l'édifier, la lumière qui l'inonde et la paix qui y règne ont été rappelées dans certains psaumes, mais spécialement dans la dernière partie pleine d'espoir d'Isaïe (Is 54 ; 60), comme dans Ezéchiel (Ez 40 ; 48), Zacharie (Za 14), Daniel (Da 7,18).

La ville est identifiée à « la tente de Dieu » où il fait habiter les hommes avec lui. A la formule traditionnelle « ils seront son peuple » Jean utilise le pluriel « ses peuples », signe d'universalisme et d'unité dans la diversité réconciliée. Chacun des fidèles est admis à contempler le visage de Dieu et à porter son nom sur son front. La ville n'a pas de Temple, parce que Dieu et l'agneau sont le Temple. L'Esprit Saint est l'Eau vive de cette ville, et Jésus en est son Arbre de Vie et sa guérison. Toute la cité est remplie de la présence de Dieu et de l'Agneau.

Toutes les causes de mécontentement, d'injustice et de sentiment d'injustice, l'angoisse elle-même, ont disparu : les imperfections et les frustrations de la « première création » ne sont plus. Maintenant, cette immense attente qui traverse tout l'Ancien Testament, essentiellement insatisfaite, parce qu'on ne peut voir Dieu, trouve enfin sa réalisation : « Et ils régneront pour les siècles des siècles », est le dernier mot de la révélation.

Dieu nous a envoyé du ciel sa ville sainte, Jérusalem céleste, nous n'avons plus qu'à la recevoir !